كلمة الأستاذة الدكتورة
عائشة محمد علي عبد الرحمن بنت الشاطئ
الفائزة (بالاشتراك) بجائزة الملك فيصل العالمية
للأدب العربي لعام 1414هـ / 1994م

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء
ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
أصحاب السمو الأمراء
أصحاب الفضيلة والمعالي السعادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

في هذا الملتقى المشهود يجدد العهد بمكانة العلم والعلماء فينا، ويُذكِّر عالم اليوم بقيم حضارية لأمتنا، غفلنا عنها وفرّطنا فيها ونحن أحق بها وأهلها.

أسمحوا لي أيها السادة أن أتحدث إليكم ممثلة شخصية المرأة العربية المسلمة.
اختار الله لي، له الحمد والمنة، أن أتخرج في كُتَّاب حفظ القرآن، ثم في المدرسة الإسلامية حيث رسخت جذوري فيها، تتجه بي من حيث لا أحتسب إلى هذا المنبر السامي عبر ثلاث مراحل متميزة، الأولى المرحلة الأساسية، تلقيت فيها علوم العربية والإسلام حفظا ورواية، على والدي وزملائه الشيوخ الأزهريين. ومنهم تعلمت أن اكثر علوم القرآن علوم عربية.

ثم انتقلت إلى المرحلة الجامعية حيث تلقيت العلم دراية على المنهج الأصولي لأستاذي أمين الخولي، والفقه على فقيه الوقت الشيخ فرج السنهوري والمناهج الحديثة على أساتذتي الجامعيين المشهورين حينذاك. وتخرجت بهذا المحصول إلى الحياة في هيئة التدريس بالجامعة إلى كرسي أستاذ اللغة العربية وآدابها بجامعة عين شمس لأكثر من عشر سنين، كان همي فيها أن أصل علوم العربية بالقرآن وعلومه، من حيث استيقنت أن القرآن هو كتاب العربية الأكبر ومعجزتها البيانية العليا، غابت عنا أسرار بيانها وضوابط دلالاتها إذ جرينا على فهمه بقواعد اللغويين والبلاغيين، بدلا من عرضها عليه، ومن ثم تمثلت المنهج المحرر لفهم القرآن بالقرآن، يمتنع معه تفسير كلمة من كلام الله تعالى بأخرى من كلام البشر، بل يتجه الجهد إلى ان نفهم لماذا استعمل هذه الكلمة دون غيرها من الألفاظ المقول بترادفها، وفق منهج استقرائي بالغ الدقة. يبدأ بخدمة الكلمة أو الحرف مادة وصيغة، لغة ونحوا وبلاغة، على القواعد المقررة لها عند علماء العربية، وتعرض هذه القواعد على الدلالة القرآنية باستقراء مواضع ورودها في القرآن، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كله.

وأجدى هذا التواصل المنهجي بين العربية والقرآن - عليهما كليهما، أن حرر فهمنا للقرآن مما شاب تفسيره من بدع التأويل وما أقحم عليه من عناصر دخيلة. وأثرى العربية، التي تعلمناها قواعد مدرسية وثقفناها صناعة ومنطقا، بما يجلو البيان القرآني من ذوقها الأصيل وحسها المرهف. وزود خدمتنا للنص القرآني بمباحث جليلة لعلماء العربية غير متداولة، كما زود مكتبة الدرس اللغوي والبلاغي بذخائر لعلوم القرآن، هي في الوقت نفسه من صميم علوم العربية. هذا إلى جدواها فيما وسعت من جديد الآفاق للدراسات القرآنية، اللغوية والبيانية.

ثم كانت حركة التحول الكبرى في مسيرتي العلمية والفكرية عندما انتقلت للعمل في المغرب وقد امتدت هذه المرحلة لأكثر من عشرين عاما.

وقد يسر الله تعالى وأعان، فوضعت رصيد مراحل حياتي العلمية في تأصيل منهج البحث، وعلم توثيق المخطوطات وتحقيق النصوص، خدمة لمحاولتي فهم الإعجاز البياني للقرآن، في الحرف لا يقوم مقامه سواه، وفي الكلمة تتحدى محاولة تأويلها على غير الوجه الذي في البيان المعجز، وفي الأسلوب تتقاصر دونه طاقات البلغاء، فكأني فهمت لماذا أعيا العرب أن يأتوا بسورة من مثله، مع التحدي والمعاجزة.

ولا أَمنُّ على أمتي بما قدمت أو بذلت ، لكن الله يمن على، أن يسرني لخدمة أمتي في لغتها وكتاب دينها، جوهر إنسانيتها الناطقة، وأن قدمت إلى الحياة العلمية أفواجا حظيت بصحبتهم في دراساتهم العليا. وآمل أن يتابعوا المسير على الدرب الطويل الصعب من حيث انتهت خطواتنا.

عرفت هذه الربوع الطيبة منذ وعيت مثابة حجنا ومهوى أفئدتنا وقبلة أمتنا. وزرتها لأول مرة في بعثة لجامعة القاهرة، في ضيافة الملك عبد العزيز، ورعاية وزير الخارجية حينذاك الأمير فيصل بن عبد العزيز، حيث تركت لنا حرية وضع برنامج الرحلة والكل في خدمتنا، فطوفنا بأرجاء الجزيرة طولا وعرضا، فتجلت لي (أرض المعجزات): آية العربية، وآية القرآن بمنزل الوحي، ثم آية العلم فجرت ينابيع البترول يشارك في تقرير موازين القوى لعالم جديد.

اليوم تأخذ الباحثة العربية مكانها في هذا الحفل العلمي المشهود، لا يجحد موضعها فيه ولا يجحد موضعها فيه ولا يحجبها عنه كونها من النساء. وليست هذه الظاهرة الحضارية جديدة على هذه الأرض الطيبة، فغير بعيد مناحي المربع وسط الرياض، حظينا فيه بلقاء العاهل الجليل الملك عبد العزيز وتذاكرنا مليا في قضايا الأمة، فما أنسى اعتزازه بأنه (أخو نورة).

ونستقبل البيت العتيق فتتراءى لنا حشود المعتمرين يسعون بين الصفا والمروة سبعة أشواط مهرولين، سعي "هاجر أم إسماعيل" جد العرب العدنانية، فذلك عيدنا الأصيل للأم، عبادة ونسكا وشعيرة من شعائر الحج والعمرة.

وعلى مقربة منا إطلال قصر ملكة سبأ، تذكرنا بشخصيتها المهيبة في مجلسها للشورى بالقرآن الكريم، ليس كمثلها مهابة وذكاء، ملكة في الغرب الحديث.

فلأذكر بجميل الشكر والعرفان، وصادق التقدير والمودة في القربى كلا من جامعة الملك سعود وجامعة الإمارات العربية اللتين رشحتاني للجائزة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته